بأعتابها، والاستشفاء بتربتها، ومثل ذلك : التمسح بجدران الكعبة، ذلك . ـ ومن ذلك أيضاً الذهاب إلى القبور لا لقصد الزيارة، بركتها واعتقاد أن الدعاء عندها أفضل . قال شيخ الإسلام كما في اقتضاء الصراط المستقيم ص (٣٣٤): «فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء، المحادة لله ورسوله ، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله . ـ قال شيخ الإسلام كما في الاقتضاء ص (٤٢٤ ـ ٤٢٦) : « . . مثل من يذهب إلى حراء ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غار ثور ليصلي فيه ويدعو، أو يذهب إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غير هذه الأمكنة من الجبال وغير الجبال التي يقال فيها مقامات الأنبياء . . ولا شرع لأمته زيارة موضع المولد، ولا زيارة موضع بيعة العقبة . ومعلوم أنه لو كان هذا مستحباً يثيب الله عليه لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك وأسرعهم إليه، ولكان علم أصحابه بذلك وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة» . وقد رد الشيخ عبد العزيز بن باز في فتاويه ٣٣٤/٣ : على من طالب بإحياء الآثار النبوية كطريقة الهجرة ومكان خيمة أم عبد ، ونحو ذلك، عندها أو الصلاة ونحو ذلك، وهذه من الوسائل المفضية إلى الشرك . ـ وكذا الأمكنة التي صلى فيها الرسول ، اتفاقا كأن يكون في سفر ونحو ذلك، ولم يقصد تخصيصها بالصلاة فيها فإنه لا يشرع تتبعها والتقرب إلى الله بالصلاة فيها، تكن مقصودة لذاتها . ومن باب أولى الأماكن التي ارتبطت بحوادث نبوية معينة كغار حراء، وغار ثور، وموقعة بدر، عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها وأمر بقطعها» . ه ـ وكذا الأزمنة المباركة كشهر رمضان وليلة القدر، ويوم الجمعة وغير ذلك إنما تلتمس بركتها بالقيام بالمشروع فيها من العبادات، أما كيفية معرفة هل هذه من البركات الباطلة، أو الصحيحة؟ فيعرف ذلك بحال الشخص، عن البدعة، فإن الله قد يجعل على يديه من الخير والبركة ما لا يحصل لغيره (١) . الناس في حياته وبعد موته . أما إن كان مخالفًا للكتاب والسنة، أو يدعو إلى باطل فإن بركته موهومة وقد تضعها الشياطين له مساعدة على باطله ، يقف مع الناس في عرفة ثم يأتي إلى بلده، ويضحي مع أهل بلده. = مشروعة لأنكر عليه، المشروع . ٦ ـ ومن ذلك تخصيص أزمنة معينة بنوع من التعظيم والاحتفالات والعبادات، كيوم مولد الرسول ﷺ ، ويوم الإسراء والمعراج، ويوم الهجرة، ويوم بدر، وفتح مكة وغير ذلك، فالتبرك بالأزمنة على هذا النحو من البدع . ـ ومن التبرك الباطل : التبرك بذوات الصالحين وآثارهم فلم يؤثر عن أحد من الناس أنه تبرك بوضوء أبي بكر أو عرقه ، أو ثيابه أو ريقه أو غير ذلك ، ولا عمر ولا عثمان ولا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وإنما كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بوضوء النبي ، وجسمه وعرقه، وريقه، وشعره، وملابسه، وهذا خاص بالنبي ﷺ ، لا يجوز أن يقاس عليه أحد من الصالحين، ولو كانوا الخلفاء الراشدين، غيرهم ، لان التبرك عبادة مبناها على التوقيف والاتباع . انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص (٣٣٩)، الاعتصام للشاطبي ص (٨)، المشروع والتبرك الممنوع للعلياني ص (٨١) . في الهواء أو يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي» . وقول الله تعالى : أفرأيتُم اللات والعُزَّى (1) الآيات . قال شيخ الإسلام : إنَّ الشياطين تحملهم لكي يغتر بهم الناس، وقع منهم مخالفات منها : عدم إتمام الحج ، يمرون بالميقات، ولا يحرمون منه (٢) . قوله : «شجر» اسم جنس ، أي : شجرة تكون، وقعت تحتها بيعة الرضوان أمر بقطعها . قوله : «أو حجر» اسم جنس يشمل أي حجر كان حتى الصخرة التي في بيت المقدس، فلا يتبرك بها ، وكذا الحجر الأسود لا يتبرك به، بمسحه، وتقبيله اتباعًا للرسول ، ، ، وبذلك تحصل بركة الثواب . ولولا أني رأيت رسول الله ، ، يُقبلك ما قبلتك) . فتقبيله عبادة محضة خلافًا للعامة يظنون أنَّ به بركة حسية، استلمه بعض هؤلاء مسح على جميع بدنه تبركا بذلك . قوله : ونحوهما» أي : من البيوت، والقباب والحجر، حتى حجرة قبر الحديد، لينظر هل هو أملس النبي ، ، فلا يتمسح بها تبركا ، أو لا؟ فلا بأس إلا إن خشي أن يُقتدى به فلا يمسحه . قوله : أفرأيتم اللات والعزى . لما ذكر الله عز وجل المعراج بقوله : والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى (1) (4) . من آيات ربه الكبرى) . (١) سورة النجم، الآية : ١٩ . (٢) مجموع الفتاوى ٨٣/١. (٣) سبق ص (١٨٧) . (٤) سورة النجم، الآيتان : ١ ، ٢ . (٥) سورة النجم ، الآية : ١٨ . بعض المعربين يقول : لقد رأى الكبرى من آيات الله . وبعض المعربين يقول : لقد رأى من آيات الله الكبرى. وعلى الرأي الأول : يكون ما رآه الرسول أكبر شيء . وعلى الرأي الثاني : يكون من أكبر الأشياء، وهذا هو الصحيح، أن الكبرى صفة لآيات، وليست مفعولاً لرأى إذ إن ما رآه ليس أكبر آيات الله . وبعد أن ذكر الله ما رأى النبي ، ، ، اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أي : أخبروني ما شأنها، بالنسبة إلى هذه الآيات العظيمة، فليست بشيء . والاستفهام : للاستخفاف والاستهجان بهذه الأصنام . قوله : اللات تقرأ بتشديد التاء، وتخفيفها، والتشديد قراءة ابن عباس، فعلى قراءة التشديد تكون اسم فاعل من اللت، وكان هذا الصنم أصله رجل يلت السويق للحجاج، أي يجعل فيه السمن، ويطعمه الحجاج، فلما مات عكفوا على قبره، وجعلوه صنما . وأما على قراءة التخفيف، فإن اللات مشتقة من الله ، أو من الإله فهم من أسماء الله اسما لهذا الصنم ، وسموه باللات، قوله : ومناة قيل : مشتقة

Summarized by © lakhasly.com

من المنان ، وقيل : من منى لكثرة ما يمنى عنده من الدماء بمعنى يُراق ، ومنه سميت منى لكثرة ما يراق فيها من الدماء . وكان هذا الصنم يقصده المشركون، يذبحون عنده . قوله : الثالثة الأخرى إشارة إلى أن التي تعظمونها، وتذبحون عندها، وتكثر إراقة الدماء حولها أنها أخرى بمعنى متأخرة أي : ذميمة حقيرة ، من فلان أخر أي ذميم حقير : أي : متأخر فهذه الأصنام الثلاثة المعبودة عند العرب ما حالها بالنسبة لما رأى النبي ، قوله : الآيات معنى هذا أنه يريد منا أن نستمر في شرح الآيات . قوله : ألكم الذكر وله الأنثى هذا أيضًا استفهام إنكاري على المشركين الذين يجعلون الله البنات، ولهم البنين، فرحوا، واستبشروا به ، وإذا ولدت الأنثى ظل وجه الإنسان منهم مسودا، وهو كظيم، ومع ذلك يقولون الملائكة بنات الله فيجعلون البنات الله ، قوله : تلك إذا قسمة ضيزى . ضيزى : جائرة، لأنه على الأقل إذا أردتم القسمة فاجعلوا لكم من البنات نصيبا واجعلوا الله من البنين نصيبًا، أما أن تجعلواما تختارونه لأنفسكم وهم البنون، قوله : إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان : الضمير في «هي» يعود إلى الأصنام أي هذه الأصنام التي سميتموها اللات والعزى، ومناة اتخذتموها آلهة تعبدونها هي أسماء سميتموها، أنزل الله بها من سلطان ، أي : من حجة ودليل . بل أبطلها الله سبحانه قال تعالى : ذلك بأنَّ الله هو الحق، يدعون من دونه هو الباطل، وأن الله هو العلي الكبير (١) . و «سلطان» هنا بمعنى حجة . وأصل السلطان في اللغة العربية ما به سلطة ، فهو العلم، وإن كان في مقام القدرة فهو القدرة، فهو من له الأمر والنهي . (٣) ومثل قول الرسول ﷺ : «السلطان ولي من لا ولي له» . قوله : إن يتبعون إلا الظن إن» هنا بمعنى ما، وعلامة إن التي بمعنى ما أن تأتي بعدها إلا قال تعالى : إن هذا إلا ملك كريم) يعني ما هذا إلا ملك كريم، وقال تعالى : إن هذا إلا قول البشر) أي : ما هذا إلا قول البشر، والظن الذي يتبعونه هو أنها آلهة ، وأنَّ الله البنات، ولهم البنون، والظن لا يغني من الحق شيئًا كما قال تعالى في الآية . قوله : وما تهوى الأنفس كذلك أيضًا يتبعون ما تهوى الأنفس، وهذا أضر شيء على الإنسان أن ما يهوى فالإنسان الذي يعبد الله بالهوى، فإنه لا يعبد الله حقا، إنَّما يعبد عقله وهواه قال تعالى : أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، (١) سورة الرحمن، الآية : ٣٣ . (٢) سورة النجم، الآية : ٢٣ . (٣) من حديث عائشة رواه أبو داود، كتاب النكاح / باب في الولي ٥٦٨/٢، وسكت عنه، كتاب النكاح / باب لا نكاح إلا بولي ٦٠٥/١ ، وأحمد ٤٧/١، 66، 166 ، ٢٦٠ . (٤) سورة يوسف، الآية : ٣١ . (٥) سورة المدثر، الآية : ٢٥ . (٦) سورة النجم، الآية : ٢٣ . (٧) سورة الجاثية، الآية : ٢٣ . وعن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، قوله : ولقد جاءهم من ربهم الهدى أي : على يد النبي ، الأجدر بهم أن يتبعوا الهدى دون الهوى . مناسبة الآية للترجمة : لأنهم يعتقدون أن هذه الأصنام تنفعهم وتضرهم، ولهذا يأتون إليها يدعونها، ويذبحون لها، ويتقربون إليها، وقد يبتلي الله المرء، فيحصل له ما يريد من اندفاع ضر، أو جلب نفع بهذا الشرك ابتلاء من الله وامتحانا، جاء لما فتح مكة تجمعت له ثقيف، وهوازن بجمع عظيم كثير جدا . فقصدهم ، ومعه اثنا عشر ألفا، ألفان من أهل مكة، وعشرة آلاف بهم من المدينة، قوله : «خرجنا مع النبي) أي : بعد غزوة الفتح ، لأن النبي ، تعالى : لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) (1) . ثم لما انحدروا من وادي حنين، الوادي، فحصل ما حصل، وتفرق المسلمون عن رسول الله ، ﷺ ، معه إلا نحو مائة رجل، وفي آخر الأمر كان النصر للنبي ، ا ، والحمد لله . ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة، فقلنا: يارسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ : «الله أكبر، السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إنها كما لهم آلهة ، قال إنَّكم قَوْمٌ تجهلون (١). «لَتَرْكَبُنَّ سُنن من كان قبلكم». قوله : «حدثاء جمع حديث أي أننا قريب عهد بكفر، وإنما ذكر ذلك رضي الله عنه للاعتذار لطلبهم، وسؤالهم، ولو وقر الإيمان في قلوبهم لم يسألوا هذا السؤال . قوله: «يعكفون عندها : أي : يقيمون عليها، قوله : «ينوطون» أي : يعلقون بها أسلحتهم تبركًا . قوله : «يقال : لها ذات أنواط أي : أنها تلقب بهذا اللقب لأنه تناط فيها الأسلحة، وتعلّق عليها رجاء بركتها ، فالصحابة رضي الله عنهم، للنبي ﷺ : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» أي : سدرة نعلق (١) سورة الأعراف، الآية : ١٣٨ . (٢) رواه أحمد في المسند ٢١٨/٥ ، قبلكم ٣٤٣/٦ وقال : «حسن صحيح، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٧٦) ، برقم (١٨٣٥) ، والطبراني في الكبير برقم (٣٢٩٠) ، والبيهقي في المعرفة ١٠٨/١ . فيه مسائل : الأولى : تفسير آية النجم . الذي طلبوا الثالثة : كونهم لم يفعلوا . إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه . الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل . ثم ذكر المؤلف، رحمه الله، المسائل التي فيه، الأولى : تفسير آية النجم : أي : قوله تعالى : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى . إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وقد مر علينا تفسيرها، وأن الله تعالى أنكر على هؤلاء الذين يعبدون اللات والعزى، بصيغة الاستفهام الدالة على التحقير والتصغير لهذه الأصنام . الثانية : معرفة صورة الأمر الذي طلبوا : وهو أنهم طلبوا

Summarized by © lakhasly.com

من النبي، أن يجعل لهم ذات أنواط كما أن للمشركين ذات أنواط ، وهم إنما أرادوا أن يتبركوا بهذه الشجرة لا أن يعبدوها، ممنوع ، وأن هذا من سنن الضالين السابقين من الأمم . الثالثة : كونهم لم يفعلوا : أي لم يعلّقوا أنواطًا على الشجرة، ويطلبوا من الرسول، ، أن يقرهم على هذا العمل، بل طلبوا من الرسول، يجعل لهم ذلك . الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه . بذلك : أي : بتعليق الأسلحة ونحوها على الشجرة التي يعينها الرسول، ولهذا طلبوا ذلك من الرسول لتكتسب بهذا معنى العبادة . الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل؛ لأن الصحابة لا شك أعلم الناس بدين الله ، السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم . السابعة : أن النبي ، ، لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله : «الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم فغلظ الأمر بهذه الثلاث . إسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلها . اتخاذها إلها فغيرهم من باب أولى، وقصد المؤلف رحمه الله بهذا أن لا نغتر بعمل الناس ؛ لأن عمل الناس قد يكون عن جهل، السادسة : أنَّ لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم : وهذا معلوم من الآيات : لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى(١) . فالصحابة رضي الله عنهم لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة، وأسباب المغفرة ما ليس لغيرهم، ومع ذلك لم يعذرهم النبي ، ، بهذا الطلب . السابعة : أن النبي ، السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم» فغلّظ الأمر بهذه الثلاث : ما هي الثلاث؟ الله أكبر، إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم، فغلظ الأمر بهذا لأن التكبير استعظامًا للأمر الذي طلبوه، وإنها السنن أيضًا تحذير، ولتركبن سنن من كان قبلكم كذلك أيضًا تحذير. لما قالوا لموسى : اجعل لنا إنها كما لهم آلهة . فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بها كما يتبرك المشركون بها وأولئك طلبوا إلها كما لهم آلهة ، التاسعة : أن نفي هذا من معنى لا إله إلا الله» مع دقته وخفائه على أولئك . العاشرة : أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة . الحادية عشرة : أن الشرك فيه أصغر وأكبر، لأنهم لم يرتدوا بهذا . للتوحيد، لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إله شرك واضح . أي : أن نفي التبرك بالأشجار ونحوها من معنى لا إله إلا الله ، فإنَّ لا إله إلا الله تنفي كل إله سوى الله ، وتنفي الألوهية عما سوى الله عز وجل، فكذلك البركة لا تكون من غير الله سبحانه وتعالى . العاشرة : أنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة : أي : النبي ، ، حلف على الفتيا في قوله : «قلتم، والذي نفسي بيده» . والنبي ، ، لا يحلف إلا لمصحلة ، أو دفع مضرة ومفسدة، يحلف على أي سبب يكون، كما هي عادة بعض الناس . الحادية عشرة : أن الشرك فيه أصغر وأكبر لأنهم لم يرتدوا بهذا : نعم الشرك فيه أصغر وأكبر، وفيه خفي وجلي. فالشرك الأكبر: ما يُخرج الإنسان من الملة . والشرك الأصغر: ما دون ذلك . لكن كلمة ما دون ذلك ليست ميزانا واضحًا، القول الأول : إنَّ الشرك الأصغر كل شيء أطلق الشارع عليه أنه شرك ودلت النصوص على أنه ليس من الأكبر مثل : «من حلف بغير الله فقد بغير الله لا يخرج من الملة . القول الثاني : أن الشرك الأصغر: ما كان وسيلة للأكبر، الشرع عليه اسم الشرك، لكنه لم يتخذه إلها فهنا نقول : هذا شرك أصغر (٢) لأن هذا الاعتماد الذي يكون كاعتماده على الله يؤدي به في النهاية إلى الشرك الأكبر، وهذا التعريف أوسع من الأول، لأن الأول يمنع أن تطلق على شيء أنه شرك إلا إذا كان لديك دليل، والثاني يجعل كل ما كان وسيلة للشرك فهو شرك، وربما نقول على هذا التعريف أن المعاصي كلها شرك أصغر لأن الحامل عليها الهوى وقد قال تعالى : أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم(٣). ولهذا أطلق النبي ، والكفر ترك الصلاة (٤) . (١) من حديث ابن عمر رواه أبو داود كتاب الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء ٥٧٠/٣ وسكت عنه، والترمذي ، النذور باب كراهية الحلف بغير الله تعالى رقم ١٥٣٥ وحسنه ، والطيالسي رقم (١٨٩٦) ، وابن حبان رقم (١١٧٧)، والحاكم ١٨/١، على شرطهما وأقره الذهبي ، وأحمد في المسند ٣٤/٢، ٦٩ . (٢) بشرط أن يكون الاعتماد صحيحًا، (٣) سورة الجاثية، الآية : ١٢٣ . غريب، والنسائي ، كتاب الصلاة باب الحكم في تارك الصلاة ٢٣١/١ ، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة / باب ما جاء فيمن ترك الصلاة رقم (١٠٧٩) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٥٥)، والحاكم ٧/١ وصححه وأقره الذهبي ، وأحمد ٣٤٦/٥ . الثانية عشرة : قولهم : ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك . الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب خلافًا لمن كرهه . الرابعة عشرة : سد الذرائع . الثانية عشرة : قوله : ونحن حدثاء عهد بكفر» . . . حدثاء عهد بكفر . وعلى هذا فنقول : إنه ينبغي للإنسان أن يقدم العذر عن قوله أو فعله حتى لا يُعرض نفسه إلى القول بما ليس فيه، ومعلوم حديث صفية حين شيعها الرسول ، ل ، وهو معتكف فمر رجلان من الأنصار، بنت حيي (١) . الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب . . . إلخ . تؤخذ من قوله : «الله أكبر إنها السنن أي : الله أكبر، وأعظم من أن يشرك به، الرابعة عشرة : سد الذرائع . الذرائع : الطرق الموصلة إلى الشيء، وذرائع الشيء : وسائله ، وطرقه . والذرائع نوعان : أ ذرائع إلى أمور مطلوبة ، فهذه لا تسد، بل تفتح ، وتطلب. ب ـ ذرائع إلى أمور مذمومة، فهذه تسد . الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية . السادسة عشرة : الغضب عند التعليم . الكلية لقوله : «إنها السنن» . وذات أنواط وسيلة إلى الشرك الأكبر، فإذا وضعوا

Summarized by © lakhasly.com

عليها أسلحتهم، وتبركوا بها، يتدرج بهم الشيطان إلى عبادتها ، وسؤالهم حوائجهم منها مباشرة، فلهذا سد النبي ، ، الذرائع . الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية : تؤخذ من قوله : «قلتم كما قالت بنو إسرائيل» فأنكر عليهم، وبهذا نعرف أن الجاهلية لا تختص بمن كان قبل زمن النبي ، ، بل كل من جهل الحق ، وعمل عمل الجاهلين، فهو من أهل الجاهلية . السادسة عشرة : الغضب عند التعليم : والحديث ليس بصريح في ذلك . السابعة عشرة : القاعدة الكلية لقوله : «إنها السنن» . أي : الطرق، وأن هذه الأمة ستتبع طرق من كان قبلها، وهذا لا يعني الحل، ولكنه للتحذير، والرسول ، قال : «ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» (١) . ومثله قوله : «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير» (٢) . الحديث . وقوله : «إنَّ الظعينة تذهب من كذا إلى كذا لا تخشى إلا الله» (٣) ، القدر يأتي بها .)٣٩(١) سبق ص((٢) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم ، اسمه ١٣/٤ . (٣) من حديث عدي بن حاتم رواه البخاري، الثامنة عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر. التاسعة عشرة : أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا . الثامنة عشرة : أنَّ هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر: فإن قال قائل : إن النبي ، الشيطان قد أيس أن يُعبد في جزيرة العرب» (1) . (١) الجواب : أن يأسه لا يدلّ على عدم الوقوع، بل إن الأمر يقع على خلاف ما توقعه الشيطان؛ لأنَّ الشيطان لما حصلت الفتوحات، وقوي الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجًا يئس أن يعبد سوى الله في هذه الجزيرة، ولكن حكمة الله تأبى إلا أن يكون ذلك ، وهذا نقوله ولابد، لئلا يقال : إن جميع الأفعال التي تقع في الجزيرة العربية لا يمكن أن تكون شركا، ومعلوم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله جدد التوحيد في الجزيرة العربية، كانوا في ذلك الوقت فيهم المشرك وغير المشرك فالحديث أخبر عما وقع في نفس الشيطان ذلك الوقت، ولكنه لا يدل على عدم الوقوع ، وهذا الرسول ، ، ، يقول : لتركبن سنن من كان قبلكم»، يخاطب الصحابة، وهم في جزيرة العرب التاسعة عشرة : أن ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا : هذا ليس على إطلاقه وظاهره، بل يحمل قوله : «لنا» أي لبعضنا، الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم (٢) . والرسل كانوا من الإنس فقط . فقوله : «إنه لنا أي : قد يكون من بعضنا . (١) من حديث جابر رواه مسلم كتاب صفات المنافقين / باب تحريش الشيطان ٤ / ٢١٦٦ . العشرون : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما «مَنْ ربك فواضح وأما «مَنْ نبيك» فمن إخباره بأنباء الغيب. فإذا وقع تشبه باليهود والنصارى، فإنَّ الذم الذي يكون لهم يكون لنا، وما من أحد من الناس إلا وفيه شبه باليهود أو النصارى فالذي يعصي الله على بصيرة فيه شبه من اليهود، والذي يعبد الله على ضلالة فيه شبه من النصارى، والذي يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله فيه شبه من اليهود، وإن كان يقصد رحمه الله ، إطلاقه وظاهره، لأنه قلّ من يسلم . العموم، فلا . العشرون : أنه متقرر عندهم أنَّ العبادات مبناها على الأمر. وهذا واضح فالعبادات مبناها على الأمر فما لم يثبت فيه أمر الشارع فهو بدعة قال : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»(١) . الأمور فإن كل بدعة ضلالة» (٢) . (١) من حديث عائشة ، رواه مسلم ، كتاب الأقضية / باب نقض الأحكام الباطلة ١٣٤٣/٣ . وأخرجه البخاري معلقاً (٢٦٩٧) . (٢) من حديث العرباض بن سارية، رواه أبو داود، كتاب السنة / باب لزوم السنة ١٣/٥ ، والترمذي العلم / باب الأخذ بالسنة رقم (٢٦٧٨) ، وقال : حسن صحيح ، باب ما جاء في الذبح لغير الله قوله : «في الذبح» أي : ذبح البهائم . قوله : «لغير الله اللام للتعليل ، والقصد أي : قاصدا بذبحه غير الله . والذبح لغير الله ينقسم إلى قسمين : 1 ـ أن يذبح لغير الله تقربا وتعظيما فهذا شرك أكبر مخرج عن الملة . ٢ ـ أن يذبح لغير الله فرحا وإكراما فهذا لا يخرج من الملة، بل هو من الأمور العادية التي قد تكون مطلوبة أحيانًا وغير مطلوبة أحيانًا، ومراد المؤلف هنا القسم الأول . لو قدم السلطان إلى بلد فذبحنا له، أكبر، وتحرم هذه الذبائح ، وعلامة ذلك : أننا نذبحها في وجهه ثم ندعها . أما لو ذبحناها له إكرامًا وضيافة، وطبخت، الإكرام، وليس بشرك . قوله : «غير الله» يشمل الأنبياء، والملائكة، والأولياء، وغيرهم، من ذبح لغير الله تقربًا، وتعظيمًا، فإنه داخل في هذه الكلمة بأي شيء كان . وقوله في الترجمة : «باب ما جاء في الذبح لغير الله» مثل هذه الترجمة يترجم بها العلماء للأمور التي لا يجزمون بحكمها، أو التي فيها تفصيل، التي يجزمون بها فإنهم يقولون : «باب تحريم الذبح لغير الله» وهكذا . والمؤلف، رحمه الله تعالى ، سبيل التقرب والتعظيم، وأنه شرك أكبر، البدنية، والذبح أعلى العبادات المالية ؛ قربة، هكذا قرر شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة . ويحتاج إلى مناقشة في مسألة أنَّ القربان أعلى أنواع العبادات المالية، الزكاة لا شك أنها أعظم، وهي عبادة مالية . وهناك رأي ثالث يقول : إنَّ الصلاة هي الصلاة المعروفة شرعًا، والنسك : العبادة مطلقًا، العبادة من عطف العام على الخاص . حتى ولو حملت على الحقيقة الشرعية، وأنها خاصة بالصلاة والذبح ، فإن غيرها مثلها، ويكون هذا من باب التنبيه بالمثال . قوله : محياي ومماتي أي حياتي وموتي . أي التصرف في، وتدبير أموري حيا وميتا الله . وفي قوله : صلاتي ونسكي إثبات توحيد العبادة . وفي قوله «محياي ومماتي» إثبات توحيد الربوبية . قوله : والله خبر

Summarized by © lakhasly.com

إن . والله : علم على الذات الإلهية، وأصله الإله فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال تخفيفا . وهو بمعنى مألوه، فهو فعال بمعنى مفعول، مغروس، وفراش بمعنى مفروش . قوله : رب العالمين المراد بالعالمين : ما سوى الله، وسمّي بذلك، لأنه علم على خالقه . فواعجبا كيف يعصى الإله؟ أم كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد وهي تطلق على العالمين بهذا المعنى، مثل قوله تعالى : وأني فضلتكم على العالمين) (١) . والرب هنا : المالك المتصرف، وهذه ربوبية مطلقة قوله : لا شريك له الجملة حالية من قوله : «الله» أي حال كونه لا شريك له ، والله سبحانه لا شريك له في عبادته، ولا في ربوبيته، ولا أسمائه ، (٢) وصفاته، ولهذا قال تعالى : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (1) . وقد ضلّ من زعم أن الله شركاء كمن عبد الأصنام، أو عيسى بن مريم، عليه السلام ، كقول بعضهم يخاطب ممدوحا له : فكن كمن شئت يا من لا شبيه له وكيف شئت فما خلق يدانيك وكقول البوصيري في قصيدته في مدح الرسول ﷺ : يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم إن لم تكن يوم المعاد آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم وهذا من أعظم الشرك، لأنه جعل الدنيا والآخرة من الرسول، أن الله جل ذكره ليس له فيهما شيء . وقال : إن «من علومك علم اللوح والقلم من علومه، فما بقي الله علم، ولا تدبير، وقوله : وانحر المراد بالنحر الذبح أي اجعل نحرك الله كما أنَّ صلاتك له فأفادت هذه الآية الكريمة أنَّ النحر من العبادة، وقوله : وانحر مطلق فيدخل فيه كل ما ثبت في الشرع مشروعيته للنحر وهي ثلاثة أشياء : الأضاحي، والهدايا والعقائق، أما الهدايا فمنها واجب، ومنها مستحب، فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي) ، وكما في المحصر: فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي) وكما في حلق الرأس ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) . هذا إن صح أن نقول إنها هدي، أن نسميها كما سماها الله عز وجل، لأنها بمنزلة الكفارة . وأما الأضاحي فاختلف العلماء فيها : فمنهم من قال: إنها واجبة . ومنهم من قال : إنها مستحبة . وأكثر أهل العلم على أنها مستحبة، وأنه يكره للقادر تركها . ومذهب أبي حنيفة رحمه الله أنها واجبة على القادر، والأضحية ليست عن الأموات كما يفهمه العوام بل هي للأحياء، وأما الأموات فليس من المشروع أن يُضحى لهم استقلالاً، فيه مسائل : الأولى : الخوف من الشرك . الشرك . الثالثة : أنه من الشرك الأصغر الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين . الأولى : الخوف من الشرك : لقوله : إن الله لا يغفر أن يشرك به ولقوله : واجنبني وبني أن نعبد الأصنام . الثانية : أن الرياء من الشرك : الحديث : «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال : «الرياء» . إبطال العبادة . الثالثة : أنه من الشرك الأصغر: لأن النبي ، الرياء، فسماه شركًا أصغر. وهل يمكن أن يصل إلى الأكبر؟ ظاهر الحديث لا يمكن ؛ الشرك الأصغر فسئل عنه ؟ فقال : «الرياء» . لكن في عبارات ابن القيم رحمه الله ، كيسير الرياء، فهذا يدل على أن كثيره ليس من الأصغر، فنعم؛ لأنه لو كان يرائي في كل عمل لكان مشركا شركا أكبر، الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين : وتؤخذ من قوله : أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ولأنه قد يدخل في قلب الإنسان من غير شعور لخفائه، وتطلع النفس إليه، الخامسة : قرب الجنة والنار السادسة : الجمع بين قربهما في حديث واحد . (١) أضللن كثيراً من الناس . الخامسة : قرب الجنة والنار : لقوله : «من لقي الله لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار . السادسة : الجمع بين قربهما في حديث واحد : «من لقي الله لا يُشرك به شيئًا . . . » الحديث . السابعة : أن من لقيه يُشرك به شيئًا دخل النار، كان شركه أكبر لم يدخل الجنة بعد لقوله تعالى : إنه من يُشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار» . الثامنة : المسألة العظيمة سؤال الخليل له ، تؤخذ من قوله تعالى : واجنبني وبني أن نعبد الأصنام. التاسعة : اعتباره بحال الأكثر لقوله : رب إنهن أضللن كثيراً من الناس وفيه إشكال إذ المؤلف يقول : بحال الأكثر، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقول الله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة (1) . الآية . هذا الترتيب الذي ذكره المؤلف من أحسن ما يكون ؛ لأنه لما ذكر توحيد الإنسان بنفسه ذكر أنه لا يتم الإيمان إلا إذا دعا إلى التوحيد. قال تعالى : والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بالحق، وتواصوا بالصبر (٢) . فلابد مع التوحيد من الدعوة إليه، وإلا كان ناقصا، ولا ريب أن هذا الذي سلك هذا السبيل لم يسلكه إلا وهو يرى أنه أفضل سبيل، وإذا كان صادقًا في اعتقاده، فلابد أن يكون داعيا إليه، إلا الله من تمام التوحيد، ولا يتم التوحيد إلا به . قوله : قل هذه سبيلي المشار إليه ما جاء به النبي، عبادة ودعوة إلى الله . وسبيلي : طريقي . قوله : أدعو حال من الياء في قوله : سبيلي أو يحتمل أن تكون استئنافا لبيان تلك السبيل . وقوله : أدعو إلى الله لأن الدعاة إلى الله ينقسمون إلى قسمين : ١ ـ داع إلى الله . ٢ ـ داع إلى غيره . فالداعي إلى الله تعالى هو المخلص الذي يُريد أن يوصل الناس إلى الله والداعي إلى غيره قد يكون داعيًا إلى نفسه، يدعو إلى الحق لأجل أن يعظم بين الناس ويحترم، ولهذا تجده يغضب إذا لم يفعل الناس ما أمر به، يغضب إذا ارتكبوا نهيًا أعظم منه، لكن لم يدع إلى تركه . من علماء الدول، لا علماء الملل يدعون إلى رؤسائهم . ومن دعا إلى الله ثم رأى الناس فارين منه، فلا

Summarized by © lakhasly.com

ييأس، ويترك الدعوة، فإن الرسول، ، قال لعلي : انفذ على رسلك، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (١) . رجل واحد من قبائل اليهود خير لك من حمر النعم، فإذا دعا إلى الله فليكن غضبه من أجل أن الحق لم يتبع، لا لأنه لم يجب، فإذا كان يغضب لهذا معناه أنه يدعو إلى الله ، فإذا استجاب واحد كفى، وإذا لم يستجب أحد يكفي أيضًا،

Summarized by © lakhasly.com